لا يزال الحاكم بأمر الله حياً

السيد نجم، كاتب وروائي مصري

لعل الشخصيات التاريخية من المواد الجاذبة للإبداع على كل صنوفه وأنواعه، ومن تلك الكتابات التحليلية كتاب "لا يزال الحاكم بأمر الله حيًا"، وهو الذي تبنى شخصية الحاكم بأمر الله وفي فن المسرحية تحديدًا.

اعتمد الكاتب السوري "أدهم مسعود القاق" على قراءة بعض النصوص المسرحية التي عالجت تلك الشخصية الإشكالية من مواقع وأزمنة متباينة وربما متباعدة أيضًا، وقد مارس "الحاكم" الخلافة (996-1021م).. والطريف أن كتاب التاريخ والأدباء تناولوا تلك الشخصية بآراء مختلفة إلى حد التناقض.. من العادل الحكيم إلى المستبد المجنون! وقد ذكر د. القاق في مقدمة كتابه: القصد من هذه الدراسة قراءة نصوص مسرحيّة عربيّة عالجت شخصية الحاكم بأمر الله الإشكالية من مواقع متباينة وبأزمنة متباعدة نسبيًّا؛ الخليفة الفاطمي الذي اختلفت الروايات التاريخية حول تقييم سلوكه الشخصي الغريب وطريقة إدارته للحكم إبان خلافته (386 - 411هـ، 996 - 1021م)، فمنهم من عدّ سياسته عادلةً لا تقلّ عن عدل العمرين، وآخرون وصفوه بالمستبدّ والمجنون، كما احتاروا بالوصول لمعرفة طريقة موته أو اختفائه أو غيبته وصنّفت من الجرائم السياسية الخطيرة والغامضة في التاريخ.

يرجع نسب الحاكم بأمر الله إلى الإمام على بن ابى طالب من جهة ابنته فاطمة، هذا وفق رأي من ينتصر له، أما من يعادي سياساته فينكرون عليه وعلى أسرته هذا النسب، وقد اتسمت حياته الاجتماعية والسياسية بقدر غير قليل من الصراعات والوقائع التاريخية الهامة.

خلال فترة المراهقة كان صراع الأوصياء على النفوذ، وإستمرت لأربع سنوات.. ثم صراع الحكم وما عرف به من سلطة القهر.. وأغرب ما قيل أو كتب عنه، فكرة تأليهه، وكذلك واقعة اختفائه!

كما اعتمد الكاتب على قراءة خمس مسرحيات مع ابراز أهم اللمحات الفنية لكل منهاهي:

مسرحية "الحاكم بأمر الله" لإبراهيم رمزي، ولد رمزى بالمنصورة 1884م ثم فى صباه توجه إلى الشام عام 1906م وتخرج فى الجامعة الامريكية ببيروت ثم سافر إلى لندن وتابع دراسته.

يلاحظ الكاتب أن رمزى لم يتردد فى اختيار العنوان الآخر (مقتل الحاكم المستبد وانتصار تيار سلطوي آخر). اختار صراع ست الملك نموذج الخير بكل المتعاونين معها لمواجهة الحاكم بأمر الله والسياف وقائد الجيش وغيرهم. تلاحظ أن كل المشاهد والأحداث تتم داخل القصر الفاطمي.

.. مسرحية "سر الحاكم بأمر الله، لغز التاريخ، لمحمد علي باكثير، ولد باكثير (1912-1969م)، في أندونسيا، نظم الشعر صغيرًا، وعمل فى التدريس.. بعد وفاة زوجته ترك حضرموت وتوجه إلى عدن ثم الصومال ثم الحبشة وإستقر فى الحجاز، ثم وصل مصر عام 1934م ومات فيها.

يستهل باكثير النص والحاكم داخل غرفة مجللة بالستائر بينما الحاكم يصلى على حصير من القش مرتديًا جبة صوفية سوداء.. يدخل عليه زوجه وابنه عبدالرحمن الذي يقدم غلامًا للحاكم فيقتله، ويحمل أمعاءه مبديًا استغرابه من طولها.. من هنا يبدأ الصراع مع أخته "ست الملك".. ويتم عرض بعض قرارته الغريبة: منع بيع السمك المقشور والزبيب والملوخية وغيرها!

.. مسرحية "بيارق الله" للبشير القهواجي، وهو كاتب تونسي (1952-)- ولد بمدينة القيروان، وإحترف الإخراج المسرحى، له عدة مسرحيات كتبها منذ التسعينيات من القرن الماضي، وبها ذاع صيته في العالم العربي.

والمسرحية نُشرت بعد مسرحية باكثير بثلاثين سنه. يستهل النص بموسيقى جنائزية، ثم يقدم الحاكم يرتدي الصوف ومتأملا حكيمًا وسط البخور التي تشبه بخور جلسات الصوفية. كما يعرض من كلمات ما يثير السؤال حول شخصيته، مثلا يقول: أنا كلمة الحق- أنا سر الأسرار- انا صاحب البستان والثغور.. تدخل أخته ست الملك. هنا شخصيتها على شطرين أحدهما يسعي للخير والآخر شرير..

.. مسرحية "حلاوة زمان أو عاشق القاهرة الحاكم بأمر الله، للكاتب السيد حافظ.. ولد بمحافظة الإسكندرية (1948-) حصل على العديد من الجوائز فى مجال المسرح. صدرت تلك المسرحية عام 1992م.

استهل مسرحيته بظهور مؤرخين يتحاورون حول مدينة القاهرة مع المعز لدين الله الذي يقول: سميتها القاهرة لتقهر الدنيا.. ثم يذكرون أهم الأبنية والأسواق والأسوار والأحداث التاريخية التى لها علاقة بالقاهرة... يجيء الحديث لعرض سياسة الحاكم، الذى يأمر بانارة الشوارع وتنظيفها والاستماع الى شكوة أهلها. ويجيء دور ست الملك لاثارة القضايا مثل مسألة المسيحيين، فيقول لها، أن هناك مؤامرة تحاك.. وهكذا تبدو الشخصية متزنة وربما عادلة أيضا.

.. مسرحية "الحاكم بأمر الله" ل نوال السعداوي "هزيمة الحاكم وخصيانه أما رجل غريب إستجاب لرغبة الحب الأنثوي..ولدت بالمنصورة (1930- م).. حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة.. ركزت فى المسرحية على قضية المرأة وعلاقتها غير السوية بالرجل، وهو ما جعل المؤسسات الأمريكية والأوروبية تحتفي بالمسرحية والكاتبة معًا.

كما خصّص المبحث السادس من كتابه للمقارنة بين المسرحيات المدروسة، تبعًا لمرتكزات جماليات التلقي اتكاء على منهجية النقد الثقافي الذي يستجيب للكشف عن طاقات النصوص في خلق حواريات وجدل ثقافي بين حقب تاريخية متعاقبة، ومحاكمة التراث القروسطي الذي لا تزال قيمه وثقافته فاعلة حاضرًا، وذلك بهدف الكشف عن العيوب النسقية المتعلقة بتقديم النقل والاتباع على العقل والإبداع، وبصناعة الطاغيّة وتضخم الذات الإماميّة وتقديم الولاءات الأولية وشيوع الطائفيّة المقيتة وإلغاء الآخر وهيمنة الأفكار الأسطورية والطلسمية واحتقار الأنوثة والمرأة ونبذ التفكير العلمي ونشر قيم التعصّب والتزمّت ورفع قيمة اللحى والنقاب وتفضيل أزياء الماضي...إلخ، سعيًّا نحو تشييد أنساق ثقافيّة بديلة تستمدّ مشروعيتها من ضرورات المقاومة الثقافيّة التي ترتكز على المثاقفة والتعدّد الثقافي والانفتاح نحو المعاصرة والقبول بنتائج الثورات العلميّة راهنًا من دون تحفّظ بغية تحرير التراث والثقافة الشعبيّة من أوهام النزعة البطريركية والبداوة المستمدّة من القرون الوسطى.

******

الكتاب: لا يزال الحاكم بأمر الله حيا

الكاتب: أدهم مسعود القاق

دار النشر: مركز ليفانت للدراسات الثقافية– الاسكندرية 2017م

عدد الصفحات: 148 صفحة

قطع: كبير

السيد نجم